الولاء والبراء في القرآن الكريم دراسة لغوية تحليلية

Loyalty and Disavowal in Holy Qur'an Descriptive Linguistic Study

Iman Kanani[1*]
Zulkifli Mohd Yusoff[2]

*[*1]PhD. Candidate at the Department of Quran and Sunnah, Academy of Islamic Studies, University of Malaya, Malaysia*
[2]Department of Al-Quran and Al-Hadith, Academy of Islamic Studies, University of Malaya, Kuala Lumpur, Malaysia

**Corresponding Author, E-mail: iman200720@yahoo.com*

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان معنى الولاء والبراء من الناحية اللغوية عند علماء اللغة والتفسير في كتبهم المشهورة، ويناقشها مبيّناً الراجحً منها؛ فيتناول اولاً مفهوم الولاء كما ورد في كتب اللغة والمعاجم، ويستدل بالشواهد القرآنية في ذلك ويعرض آراء المفسرين، ثم يقوم بالتحليل والمناقشة الموضوعية، ثمّ يتناول ثانياً: مفهوم البراء في اللغة، ويورد آراء اللغويين والمفسرين ويعرضهابالتحليل والمناقشة مع ذكر الشواهد من القرآن الكريم .وكما وتبين الدراسة التطبيق الشرعي والعملي لمفهوم الولاء والبراء، تعزيزاً للدلالة اللغوية، وتبرز أهمية هذا البحث، أنّه –على حسب إطلاع الباحثين – لا توجد دراسة لغوية حول هذا الموضوع ذي الأهمية البالغة والذي يعد عند كثير من أهل العلم من المفاهيم العقدية، ويظهر الوجه الإعجازي في الأسلوب القرآني على مستوى مفرداته وتراكيبه وأثره على المعنى والدلالة، واعتمد الباحثان المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظاهرة وتحليلها، والذي يتناسب مع هذا النوع من الدراسات.

الكلمات المفتاحية: القرآن، اللغة، الولاء، البراء، الاستعمال القرآني.

Abstract:

This research aims to clarify the meaning of loyalty and disavowal from linguistic point of view, between the views of linguists, and the exegetes in the Lexicons and exegeses with analysis and debate. First of all, the researcher Indicates definition of loyalty as stated in the dictionaries, with bringing the examples from the Holy Qur'an and the views of the commentators about this issue, then analysis and discussion. Second, he defines Disavowal in the language, with a point of view from linguists, and interpreters, by analyzing and discussion the examples from the Noble Qur'an. Finally, it illustrates the application of the legal and practical concept of loyalty and disavowal, to enhance the significance of language. The importance of the current study is- according to researcher's information- due to its doctrinal and sociological matter and nobody precede such a linguistic study of Loyalty. This research approaches the issue, using the method of descriptive and analytical, based on the description and analysis of the phenomenon.

Keywords: *Al-Qur'an. Al-Lughah, Al-Wala', Al-Bara', Isti'mal al-Qur'ani*

١. المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي جعل كلمة لا إله إلا الله للجنة مفتاحاً، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صاحب الحوض المورود والمقام المحمود، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله المطهرين، وصحبه المبرورين، وتابعيه المحسنين في الأولين والآخرين، في كل وقت وحين إلى يوم البعث والدين، أمّا بعد:

لقد أنزل الله تبارك وتعالى هذا القرآن العظيم بلسان عربي مبين لهداية الناس إلى صراط العزيز الحميد. ولاشكّ أنه لا يمكن فهم القرآن إلا بفهم لغة العرب فهماً صحيحاً، وموضوع الولاء والبراء يعد اليوم من المسائل العقدية المهمة عند كثير من أهل العلم، وعدم الفهم الصحيح للولاء والبراء لغةً أو اصطلاحاً، قد يجرّ إلى الفهم الخاطئ، ومن ثم اشتعال الفتن والاختلافات في المجتمع الإسلامي والعالمي، ولهذا قام الباحثان بدراسة الولاء والبراء دراسة لغوياً، بالرجوع إلى معاجم اللغة، والتفاسير، فيعرض البحث للفظ (ولى) و(برأ) من حيث دلالتهما اللغوية عند علماء اللغة وأصحاب المعاجم والمفسرين قديماً وحديثاً، لمعرفة الأصول الأولى لمادتهما لتحقيق وتوثيق هذين المعنيين من مظانها الأصلية، وبالتالي الضبط الدقيق لدلالتهما.

DOI: https://doi.org/10.15575/ijni.v3i2.1417

ب. المنهج

وأما الدراسات السابقة، على حسب اطلاع الباحثين، فلا توجد دراسة لغوية مستقلة حول الولاء والبراء، إلا المشار إليها في الكتب التي ألّفها العلماء حول الولاء والبراء في العقيدة، وعلى سبيل المثال: قد خصّص محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود في كتابه "الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية" (الجلعود : ١٤٠٧هـ)، عشر صفحات في توضيح الموالاة والتولي، دون لفظ البراء، واستند في تبيينه إلى المعاجم نحو؛ الصحاح، لسان العرب، القاموس المحيط، تاج العروس، المعجم المحيط، المعجم الوسيط، والتفاسير نحو؛ تفسير الطبري، وتفسير القرطبي، وفتح القدير، وغيرها، واستنتج بأن معنى التولي والموالاة في أغلب الأحايين هو: المحبة، والمودة، والمتابعة، والقرابة، والنصرة (الجلعود : ج ١، ص ٢٢، ١٤٠٧هـ)، وأيضاً ما كتبه محمد بن سعيد القحطاني، "من مفاهيم عقيدة السلف الصالح الولاء والبراء في الإسلام" (القحطاني ١٤١٣هـ)، فقد ذكر المؤلف في معنى اللغوي للولاء والبراء ثلاث صفحات، واستفاد من لسان العرب والقاموس المحيط، والمصباح المنير للفيومي، لتوضيحه، وكذا ما ألّفه حاتم بن عارف بن ناصرالشريف، "الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة" (حاتم بن عارف ، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث د.ط). وقد أشار فيه إلى معنى الولاء والبراء لغةً، في صفحة واحدة تقريباً، وبالجملة ذكر بأنّ الولي بمعنى القريب، وكلّ مشتقاته يرجع إلى هذا المعنى، والبراء يكون بمعنى التباعد، (المرجع نفسه، ص ٤.) وأيضاً أشار مختصراً إلى الولاء والبراء في اللغة، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب في كتابه المسمّى بـ "رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك" (صالح بن فوزان، http://www.islamhouse.com) الذي شرحه صالح بن فوزان، بأن معنى الولاء: القرب، والبراء: الانفصال (المرجع نفسه، ص١٧) ومن الدراسات السابقة بحث غير منشور بعنوان: "الولاء والبراء في ضوء القرآن الكريم" للدكتور جمال محمود محمد الهوبي، وكانت الدراسة القرآنية واللغوية فيه محدودة جداً، لأن التركيز فيه على مظاهر الولاء والبراء،وامّا هذه الدراسة فتختلف عن ما ألفه محماس الجلعود، ومحمد بن سعيد القحطاني، وحاتم بن عارف الشريف، وسليمان بن عبدالله، وجمال محمود محمد الهوبي، حيث إنها أكثر تخصصاً في تناول موضوع الولاء والبراء من الناحية اللغوية الدلالية القرآنية وتحليلها، ونسأل الله العظيم أن يوفّقنا لهذه المهمة، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وصلى الله على سيّدنا ونبيّنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم.

ج. الثمرة والمناقشة

١. الولاء في اللغة

2.1 تعريف الولاء في اللغة ومشتقاته:

بعد النظر في المعاجم اللغوية، وأقوال بعض أهل اللغة من المفسرين؛ نحو الزمخشري، وأبي حيان الأندلسي في تفاسيرهم لمعنى الولي، سيبدو لنا أنّ بعضهم يرى بأنّ أصل (الولي) من القرابة، وكلّ مدلولاته مثل الحليف، أو الجار ونحوهما، من الوَلْي، يعني القُرْب، ولكن بعضاً آخر لم يشيروا إلى هذا الموضوع، وأوردوا معاني أخرى تحت معنى الولي؛ نحو الناصر، أو المحب، أو ضدّ العدوّ، دون ذكر أو إشارة إلى لفظ القرابة.

قال ابن فارس: (الواو واللام والياء: أصلٌ صحيح يدلُّ على قرب، من ذلك؛ الوَلْيُ: أي: القرْب، يقال: تَباعَدَ بعد وَلْي، أي قُرْبٍ) (بن فارِس ، ج ٦، ص ١٤١، الفيروز آبادي، ج ٤، ص ٣٩٤، الخوارزمي ، ج ١، ص ٥٤) وفي الحديث: «كُلْ مما يليك» (البخاري، ج ٧، ص ٦٨، رقم الحديث : ٥٣٧٦) أي مما يقاربك، وقال في موضع آخر: (ومن الباب المَوْلَى: المُعْتِقُ والمُعْتَق، والصَّاحب، والحليف، وابن العَمّ، والنَّاصر، والجار؛ كلُّ هؤلاءِ من الوَلْيِ وهو القُرْب، وكلُّ مَن ولِيَ أمرَ آخرَ فهو وليُّه) (ابن فارس، ج ٦، ص ١٤١) وكما نلاحظ قولَ ابن فارس، أنّه يرى بأنّ كل مدلولات الولي أخذت من القرب؛ يعني:أنه يطلق على المعتق، أو الحليف، أو الناصر أو غيرها، لفظ الولي، وهذا يكون من جهة قرابتهم للإنسان. وقد أضاف الفيروزآبادي بعض الأسماء الأخرى للمَوْلى، نحو: المالِكُ، والعَبْدُ، والقريبُ كابنِ العَمِّ ونحوِه والجارُ، والابنُ، والعَمُّ، والنَّزيلُ، والشَّريكُ، وابنُ الأُخْتِ، والرَّبُّ، والناصِرُ، والمُنْعِمُ، والمُنْعَمُ عليه، والمُحِبُّ، والتابِعُ والصِهْرُ (الفيروز آبادي، ج٤، ص٣٩٤) . وذكر الفرّاء بأنّ الوليْ، والمَوْلى واحد في كلام العرب (الأزهري، ج١٥، ص٣٢٢).

ومع ذلك نجد أن بعض العلماء لم يشيروا إلى أنّ مشتقات الولي من القرب صريحاً؛ فقد نقل ثعلب عن ابن الأعرابي بأنّ الولي يعني التابع المحب (المرجع نفسه، ج١٥، ص٣٢٢) وقال الجوهري: «والولي: ضدَّ العدو» (الجوهري، ج٦، ص٥٥٩) قال ابن سيدة: «الوَلِيُّ المتَوَلِّي للمؤمنين) (ابن سيدة، ج٥، ص٢٢٦، ١٤١٧هـ) وقال ابن الأثير: "الوَلِيُّ هو الناصِرُ وقيل: المتَوَلِّي لأُمور العالم والخلائق القائمُ بهاط" (ابن الأثير، ج٥، ص ٢٢٧. ، الزبيدي،: ج٤٠، ص٢٥٣ . وانظر لسان العرب: ج١٥، ص٤٠٥.) وبنسبة لفظ الوِلاء، أو الموالاة، هم على هذا النهج، قال ابن الأعرابي: "الموالاة: أن يتشاجر اثنان فيدخل

DOI: https://doi.org/10.15575/ijni.v3i2.1417

ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه، أي يُحابيه. قال: والى فلان فلاناً، إذا أحبَّه. والموالاة: المتابعة (الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٥، ص٣٢٥.). وأضاف الزبيدي: "المِوَالاةُ: المحَبَّةُ" (الزبيدي، ج ٤٠، ص٢٥٣، ١٤٢٢ هـ)، وقال الأزهري: "المِوالاةُ: ضِدّ المعاداة" (الأزهري، ج١٥، ص٣٢٥). وملخص القول، بأنّ لفظ الولي وما يشتق منه، في آراء اللغويين يدور على أمرين، الفريق الأول: قول بعض أهل اللغة، بانّ الولي وكلّ ما يدخل تحت لوائه يكون من القُرْب، وكلّ مدلولاته أخذت من القرابة، والفريق الثاني: أدخلوا تحتها معاني الأخرى نحو؛ المحبة، أو ضد العداوة، أو المتابعة.

١,٢ الولي في الاستعمال القرآني

ذكر علماء الوجوه والنظائر أن كلمة "الولي" ترد في القرآن الكريم على وجوهٍ عدة، هي:

الوجه الأول: الولي يعني الولد، قال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥].

الوجه الثاني: الولي يعني الصاحب من غير قرابة، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً﴾ [الكهف: ١٧].

الوجه الثالث: الولي يعني القريب، قال تعالى: ﴿يَوْم لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا﴾ [الدخان: ٤١]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٦]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ [العنكبوت: ٣٢].

الوجه الرابع: الولي يعني الرب، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّه أَتَّخِذ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَات وَالْأَرْض﴾ [الأنعام: ١٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاء﴾ [الأعراف: ٣]، وقوله عزَّ وجل: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الشورى: ٩]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٠].

الوجه الخامس: الولي يعني الآلهة، قال تعالى: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الجاثية: ١٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الزمر: ٣]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الشورى: ٦]، وفسر ابن الجوزي قوله تعالى: ﴿ومثل الَّذين اتَّخذُوا من دون الله أَوْلِيَاء﴾ [العنكبوت: ٤١]، بالوثن.

الوجه السادس: الولي يعني العصبة، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ [مريم: ٥].

الوجه السابع: الولاية في الكفر، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة: ١٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

الوجه الثامن: الولاية في الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وفسر ابن الجوزي هاتين الآيتين: بـ "المانع".

الوجه التاسع: المولى الذي يُعتق، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥].

الوجه العاشر: أولياء في المناصحة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤]، وقوله سبحانه: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨].

الوجه الحادي عشر: الولي المولى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

الوجه الثاني عشر: الولي خلاف العدو، قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١]، أي: اتخذوهم أعداء حتى لا تناصحوهم.

الوجه الثالث عشر: الولي بمعنى الناصر والمرشد، قال اللّه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُه﴾ فهو في الله بمعنى الناصر وفي الرسول بمعنى الهادي المرشد.

وقد عمل الدكتور سليمان القرعاوي جدولاً تفصيلياً لبيان وجوه لفظ "الولي" عند أصحاب الوجوه والنظائر ووازن بين خمسة آراء هي لـ(مقاتل، وهارون، والدامغاني، وابن الجوزي، وابن العماد)، وأضفنا عليها رأياً سادساً لـ(العسكري) (العسكري، ص ٤٩٣-٤٩٤ ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، فتبين أن هارون اتفق مع مقاتل في عشرة وجوه، واتفق الدامغاني وابن العماد معهما في تسعة منها، واختلف الدامغاني معهم في وجه، واقتصر ابن الجوزي على خمسة وجوه، والعسكري على ستة وجوه، وافق غيره في أربعة وجوه واختلف معه في وجهين، فيكون لهذا اللفظ ثلاثة عشر وجهاً (القرعاوي، ص ٦٦٦ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م):

المؤلف عدد الوجوه	مقاتل	هارون	الدامغاني	ابن الجوزي	ابن العماد	العسكري
	١٠	١٠	١٠	٥	٩	٦
	الولد	الولد	الولد	الولد	الولد	الولد
	الصاحب من غير قرابة	الولي من الصاحب	الصاحب من غير قرابة	الناصر	الصاحب من غير قرابة	الصاحب
	القريب	القريب	القريب	الرب	القريب	القريب
	الرب	الرب	الرب	الوثن	الرب	الرب
	الآلهة	الإله	الآلهة	المانع	الآلهة	خلاف العدو
	عصبة	عصبة	العصبات		العصبة	الناصر والمرشد
	الولاية في الدين	الولاية في الدين	الولاية في الدين		الولاية في الدين	
	الولاية في الدين وفي الكفر	الولاية في الدين	المعتق		العتق	
	أولياء في المناصحة	المناصحة	المولى في المناصحة		النصيحة	
	المولى الذي يعتقه	الولاية في الدين	الولي			

١,٣ التحليل والمناقشة وشواهده من القرآن الكريم والسنة

بتدقيق النظر في معنى (ولي) نجد أنّ (الواو واللام والياء) تدلُّ على القرب، والبعد والإعراض، كما نرى في باب التفعيل والتفعل، بأنه من الأضداد، نحو شرى واشترى (قطرب، القسم الثانى، رقم: ١٥٥، ص١٣٤ ، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٤م، السيوطي، ج١، ص ٣٠٩، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م ، وانظر: قول ابن منظور حيث قال: (والتَّوَلِّي

يكون بمعنى الإعْراضِ ويكون بمعنى الاتِّباع)، ابن منظور، ج١٥، ص٤٠٥) ، وما يتفرع من (ولى)، أصله قد دل على أحد هذه المعنيين، يعني القرب، أو البعد، والأمثلة كلها قد ذُكِرَتْ في أقوال علماء اللغة، إلا أنّ كثير منهم غاب عنهم معنى البعد، وأمّا المعنى الأول: القرب، والدنوّ، فقد ورد في الحديث: "ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر" (البخاري، ج٨، ص١٥٠، رقم الحديث: ٦٧٣٢)؛أي: أقرب رجل، وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، قال الآلوسي: «وأصل معناه أقرب» (لألوسي، ج٢، ص١٩٠، ١٤١٥هـ) وكما نقلنا عن الزمخشري يقال للأقارب أيضا: لية بالتخفيف من الوَلْى وهو القُرْب (الزمخشري ج١, ص٥٤) ، وفي القرآن الكريم: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ [مريم: ٦]، ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] ، والمعنى هنا: أقرباء من أبناء العم، أو معتقكم وعبدكم ونحوها، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأحزاب: ٥] ، وقوله:(وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ) يقول:" والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيهط" (الطبري، ج19، ص116، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)، لأن من تحمّل معظم الأمر يكون أقرب إلى الواقعة.

وفي الحديث: «من كنت مولاه، فعلي مولاه» (الترمذي ، ج٥، ص٦٣٣، رقم الحديث: ٣٧١٣، ١٣٩٧هـ)، والمعنى: من كنت قريبه ومؤيَّد من جانبه، فعليّ -رضي الله عنه- في ذلك مثلي، وليس فيه معنى الخلافة أو الإمامة، ولا يعتبر قول من يزعم مولى هنا من الوِلاية، بمعنى الرئاسة المعنوية، لأنه لم يورد في لغة العرب الولي أو الوِلاية بمعني الرئاسة المعنوية أو الإمامة التي يعتقدون بها، والولي في الحقيقة كما نرى، هو القريب، الذي يجلب لك المنفعة، ويدفع عنك المضرة، ولدلالة لفظ الولي على القريب، سنشير إلى بعض الأمثلة: قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١] ، قال مقاتل بن سليمان: "ولي يعني: قريب ينفعهم" (الأزدي، ج١، ص٣٤٨، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ١١٦]، قال صاحب بحر العلوم: "من وَلِيّ يعني؛ من قريب ينفعكم" (السمرقندي، ج١، ص١٠٩) ، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

[الأنعام: ٥١]، قال الثعلبي: "وَلِيٌّ يعني قريب ينفعهم" (الثعلبي، ج٤، ص١٤٩، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، وكما كان واضحاً من الأمثلة القرآنية الماضية، الولي يدلّ على القريب الذي يجيئ بالمنفعة لصاحبه، وفي الواقع نجد أنّ كلّ مشتقات مادة (ولى) من جهة المعنى الأول، تدلّ على القرابة، والقريب ، وما يجلب لك المنفعة،سواء كانت بمعنى المعتق، أو العبد، أو الرئاسة والرعاية، أو معان أخرى، والتي كانت رائجة في الجاهلية، أو منذ مجئ الإسلام.

والمعنى الثاني: البعد، والصرف، والإعراض، قال تعالى:﴿... ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧] ، قال الطبري:"ثم تدبر كلّ طائفة منهم" (الطبري، ج19، ص٢٠٤.)، وقال تعالى: ﴿...وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] ، قال أبوحيان الأندلسي: "ثُمّ ولَّيتم مدبرين أَي: ولّيْتم فارِّين على أَدبارِكم" (الأندلسي، ج٥، ص٣٩٣، ١٤٢٢هـ)، وقال تعالى: ﴿..مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]. قال الطبري: "ما ولاهم": أيُّ شيء صَرَفهم عن قبلتهم؟ وهو من قول القائل:"ولاّني فلان دُبُره"، إذا حوّل وجهه عنه واستدبره، فكذلك قوله:"ما ولاهم"؟ أيّ شيء حَوَّل وُجُوههم؟" (الطبري، ،ج٣، ص١٣١)، ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80]، قال الزمخشري: "وَمَنْ تَوَلَّى عن الطاعة فأعرض عنه(الزمخشري،ج١، ص ٥٣٩) ، وقال الله تعالى في موضع آخر: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾[النجم: 33]، قال الإمام الطبري: (أفرأيت يا محمد الذي أدبر عن الإيمان بالله، وأعرض عنه وعن دينه) (الطبري، ج٢٢، ص٥٤١)، ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29] ، قال الطبري: "انصرفوا منذرين عذاب الله على الكفر به" (المرجع نفسه، ج ٢٢، ص١٤٠) ، فكما نشاهد في هذه الأمثلة القرآنية (الواو والام والياء) تدلّ على معنى البعد، والصرف والإعراض.

وأما ما نُقل عن بعض العلماء، بأن الولي معناه الناصر، أو المحبّ، قد يكون غريباً، بل فهموا هذا من قرائن لفظ الولي، بل كما قلنا، من خصوصيات الولي أو القريب، جلب المنفعة ودفع المضرة لصاحبه، والنصرة تدخل في المنافع، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦]، يعني اتخاذ الأولياء الذي لا يرجى منهم النفع والضرر؟ وفي حديث بعد قول أبي سفيان للمؤمنين: إنّ لنا العزى ولا عزى لكم، قال صلى الله عليه وسلم:« ألا تجيبونه؟ قالوا يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم» (الحميدي، ج١، ص٣٣٢

، حديث رقم: ٨٧٠٠)، والمعنى: آلهتكم لا ينفعونكم شيئاً ولا يضرونكم، بل الله قريب لنا، وهو مولانا وحافظنا، وبناءً على ذلك نرى في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٦]، أنّ النصر قد يكون من خصوصيات الأولياء، ويدخل تحت جلب المصلحة، وليس كل ناصر وليّ، ولكن يطلب النصرة من الوليّ، ونرى أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]، قال الطبري: "فإن الله هو وليه، وناصره، وصالح المؤمنين، وخيار المؤمنين أيضًا مولاه وناصره" (الطبري، ج٢٣، ص٤٨٦)**.** وهنا يكون واضحاً دلالة لفظ الولي على النصرة، في مقابل الفريق القائل بالناصر.

وما دلّ على الفرق بين الولي والناصر، وتشهد لهُ الآيات بوضوح، قول الله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥] ،قال الألوسي: (يلي أمورنا، ويرشدنا، واجعل لنا من لدنك نصيراً ينصرنا على من ظلمنا) (الألوسي ، ج١٠، ص٨٤)، فيكون أظهر من الشمس بأنّ ليس كل ناصر ولي، ولكن كل وليّ تُطلب، وتُرجى منه النصرة،وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب ١٧] ، قال صاحب جامع البيان:"ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سوءًا في أنفسهم وأموالهم- مِن دُونِ الله وليًّا- يليهم بالكفاية(وَلا نَصِيرًا) ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء ذلك" (الطبري، ج٢٠، ص٢٣٠) ،وقال تبارك وتعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: 89]، قال الإمام الطبري: (ولا تتخذوا منهم خليلاً يواليكم على أموركم، ولا ناصرًا ينصركم على أعدائكم) (المرجع نفسه، ج٨، ص١٨) ، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: 45]. قال ابن عاشور: (فالله وليّكم يهديكم ويتولَّى أُموركم شأْن الوليّ مع مولاه، وكان قوله: وكفى باللَّه نصيراً مُناسبًا لقوله: بأعدائكم، أي فاللّه ينصركم) (محمد بن عاشور، ج٥،ص٧٣، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م). وواضح من هذه الأمثلة القرآنية الفرق بين الولي والناصر، يعني الولاية معناها أعمّ وأشمل من النصرة.

وأما بنسبة دلالة لفظ الولي على المحب، نقول: لعلّ القائلين بهذا القول، استنبطوا هذا المعنى من القرابة التي يدل عليها لفظ الولي، ولكن ما وجدنا فعلاً، أو اسماً من مادة (ولى)، خاصةً في الآيات القرآنية، يشير إلى المحبة، مثلاً في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

DOI: https://doi.org/10.15575/ijni.v3i2.1417

[يونس: ٦٢] ، فممكن أن يفهم من هذه الآيات معنى الحب، أو نقول من هو قريب إلى الله عزّ وجلّ، يحبّه الله تبارك وتعالى، أو نقول من يعبد الله عزّ وجلّ يحبّه الله تبارك وتعالى، ، لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ولكن في اللغة، (الولي) لا يدلّ على معنى المحبّة بنفسه،ومثلاً في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾ [آل عمران: ٢٨]. ، قال الخازن: "يعني أنصاراً وأعواناً من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين، والمعنى لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن، نهى الله المؤمنين أن يوالوا الكفار، أو يلاطفوهم لقرابة بينهم، أو محبة، أو معاشرة، والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان"، كأنه –رحمه الله– استنبط معنى المحبة، أو الملاطفة، من لفظ أولياء، أو استنبط من آيات أخرى، وأمّا ما كان مثلاً بين الأوس والخزرج، مع يهود المدينة من ولاء،فهو تحالف إجتماعي عقدوه بينهم، ولايشترط ولايلزم وجود المحبة لهذا النوع من العهود الاجتماعية.

٢. البراء في اللغة

2.1 البراء في اللغة ومشتقاته

بعد الرجوع إلى معنى البراء وما يتفرع منه في المعاجم اللغوية، نرى بأنّ بعض أهل اللغة ذكروا له أصلاً واحداً، وهو بمعنى التباعد، والبعض الآخر أشار بأنّ له أصلين، الخلْق، والتباعد عن الشئ. قال الراغب الأصفهاني: «أصل البرء والبراء والتبري: التقصي مما يكره مجاورته، ولذلك قيل: برأت من المرض، وبرئت من فلان وتبرأت وأبرأته من كذا، وبرأته، ورجل بريء، وقوم برآء وبريئون. قال الله عز وجل: ﴿براءة من الله ورسوله﴾ [التوبة: ١]، ﴿إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله﴾ [الممتحنة: ٤]» (الأصفهاني، ج١، ص٨٦).

قال ابن الأثير: «(البارئ) هو الذي خلَق الخلْق لا عَنْ مثال» (ابن الأثير ج١، ص١١١، الزبيدي: ج ١، ص ٤٥، وابن منظر: ج١، ص١٣). ﴿الباريء المصور﴾ [الحشر: ٢٤]، وأما قول ابن فارس: «أما الباء والراء والهمزة، فأصلان إليهما ترجع فُروع الباب:

أحدهما الخَلْق، يقال بَرَأَ الله الخلقَ يَبْرَؤُهم بَرْءَاً، والبارئ الله جَلَّ ثناؤه، قال الله تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ [البقرة: ٥٤].

والأصل الآخَر: التباعُد مِن الشيء ومُزايَلَتُه، من ذلك البُرْءُ وهو السَّلامة من السُّقم، يقال بَرِئْت وبرَأْتُ، قال اللحيانيّ: يقول أهل الحجاز: بَرَأت من المرض أبرُؤُ بُرُوءَاً، وأهل العالِيَة يقولون: بَرَأْتُ أَبْرَأ بَرْءاً، ومن ذلك قولهم برئْتُ إليك من حقّكَ، وأهلُ الحجاز يقولون: أنا بَرَاءٌ منك، وغيرهم يقول أنا بريءٌ منك، قال الله تعالى في لغة أهل الحجاز: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]، وفي غير موضعٍ من القرآن ﴿إِنِّي بَرِيءٌ﴾ [هود ٥٤]، فمن قال أنا بَرَاءٌ لم يُثَنِّ ولم يؤنث، ويقولون: نحن البَرَاءُ والخَلاَء من هذا، ومَنْ قال بريء قال بريئان وبريئون، وبُرَآء، قال ابنُ الأعرابي: "اليوم البَراءُ السَّعْدُ، أي إنه بريءٌ مما يُكْرَه" (ابن فارس، ج١، ص٢٣٦).

قال الخليل: "بارأت المرأة أي: صالحتها على المفارقة. وتقول: أبرأت الرجل من الدين والضمان وبرأته، والاستبراء: أن يشتري الرجل الجارية فلا يطؤها حتى تحيض، والاستبراء: إنقاء الذكر بعد البول" (أحمد الفراهيدي، ج١، ص ١٢٤، ابن فارس، ج١، ص٢٣٦)، وقال الفيروزآبادي الشيرازي: "والبَرَاءُ: أَوَّلُ لَيْلَةٍ أو يَوْمٍ من الشَّهْرِ، أو آخِرُها أو آخِرُهُ كابْنِ البَرَاءِ وأَبْرَأَ: دَخَلَ فيه) (الفيروز آبادي، ج١، ص٨)، وقال الزمخشري: (أسعد الليالي البراء، وهي آخر ليلة من الشهر)" (الزمخشري، ج١، ص٣٨، ١٩٨٥م).

٢,٢ البراء في الاستعمال القرآني

لا يعد لفظ "البراء" ولا جذره اللغوي: "برأ" من بين الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، وإنما له معنى واحد، فقد اختار القرآن الكريم صيغتين اشتقاقيتين من مادة (بَرْءٌ) في صيغة المفرد وصيغة الجمع، وكان الاختيار مقصوداً معجزاً، وهما: (الخالدي، في: http://kabsetzr.org/khaldi)

- الصيغة الأولى: (بريء) وجمعها: (بريئون).
- الصيغة الثانية: (براء) وجمعها: (برءاء).

فالصيغة الأولى (بريء): صفة مشبهة على وزن (فعيل)، بمعنى اسم الفاعل (بارئ)، والبارئ هو الذي يتبرأ من الآخرين وأعمالهم، ويفارقهم ويفاصلهم، وينفصل عنهم، فهو بريء متبرئ منهم، وقد ورد المفرد (بريء) وجمعه (بريئون) مرات عديدة في القرآن، ومن روائع ورودهما في القرآن ورودهما معاً في قوله تعالى: ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون من ما أعمل وأنا بريء من ما تعملون﴾ [يونس: ٤١].

DOI: https://doi.org/10.15575/ijni.v3i2.1417

أما (بَراءٌ) فهي صيغة مصدر على وزن (فَعال)، وهو بمعنى البراءة الخالصة الصافية الكاملة الشاملة، التي لا يخالطها أي شيء من الولاء والاتفاق، والوصف بالمصدر أبلغ بكثير من الوصف بالصفة المشبهة، وهذه قاعدة لغوية قرآنية اشتقاقية ملحوظة مطردة، فهناك فرق بين قولك لخصمك: أنا بريء منك، وبين قولك: أنا براء منك!

وقد ورد المصدر: (بَراءٌ) مرة واحدةً في القرآن، حيث وصف إبراهيم عليه السلام نفسه به، وهو يحاجج قومه وأباه، ويعلن براءته منهم، ومن ما يعبدون من دون الله، قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء من ما تعبدون﴾ [الزخرف: ٢٦]؛ فـ(براء): خبر (إن) مرفوع، أي: أنا في غاية البراءة منكم ومن معبوداتكم الباطلة.

وجمع (براء) هو (برءاء)، على وزن (فعلاء)، والوصف بجمع التكسير أكثر توكيداً من الوصف بجمع المذكر السالم؛ فقولك: نحن برءاء، أكثر توكيداً على البراءة من قولك: نحن بريئون.

ورد جمع التكسير (برءاء) مرة واحدة في القرآن، في سياق الحديث عن براءة إبراهيم وأتباعه المؤمنين من قومهم الكافرين، قال تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنه في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومن ما تعبدون من دون الله كفرنا بكم﴾ [الممتحنة: ٤].

فالمؤمن بريء من الكافرين، والمؤمنون بريئون من الكافرين، أما ابراهيم عليه السلام فإنه (براء) منهم وليس مجرد (بريء)، وأتباعه المؤمنون (برءاء)، وليسوا مجرد (بريئين).

٢,٣ التحليل والمناقشة والشواهد القرآنية:

البراء كما قال الأصفهاني وابن فارس (رحمهما الله) يعني؛" التقصي مما يكره مجاورته، والخلق، والتباعُد مِن الشيء ومُزايَلَتُه"، وفي القرآن الكريم أيضاً (برئ) قد تدلّ على أحد هذه المعاني ولا غير، وليس في البراء معنى العداوة، والبغضاء، أو الحرب، أو معنى آخر، ونشير إلى بعض الشواهد التي ترتبط بموضوعنا هذا؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿براءة من الله ورسوله﴾ [التوبة: ١]، قال القرطبي: "بَرِئْتُ من الشّيء أَبْرَأُ بَرَاءَةً فأنا منه برئ، إذا أزلته عن نفسك، وقَطَعْتَ سبب ما بينك وبينه" (القرطبي ، ج٨، ص ٦٣، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: 35]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، قال ابن عاشور: "والبريءُ:

الْخَلِيُّ عن التَّلَبُّس بشيء وعن مُخالطته" (محمد بن عاشور، ج١١، ص ١٧٦)، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19]، وهذه الآيات تدلّ على أنّ لفظ البرئ تدل على البعد، والإعراض، وكذا كقوله تبارك وتعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: 16]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: 26] ، قال ابن عاشور: "وَالْبَرَاءُ بفتح الباء مصدر بوزن الفعال مثل الظَّمَاءِ وَالسَّمَاعِ، يُخْبَرُ به ويُوصف به في لغة أهل العَالِيَةِ- وهي ما فوق نجدٍ إلى أرضِ تِهَامَةَ مما وراء مكّة- وأما أهل نجدٍ فيقولون بَرِيءٌ" (المرجع نفسه، ج٢٥، ص١٩٢).

وكما نرى في أقوال المفسرين، وأهل اللغة، برأ يدلّ على معنى الترك، والمفاصلة، و البراءة أو البراء تدلّ على التقصي والتباعد من الشئ ومزايلته، وليس فيها معنى البغضاء أو العداوة أو الحرب، وأما قول إبراهيم – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- في القرآن الكريم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤]، قال الإمام الطبري: "يقول تعالى: قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه في هذه الأمور التي ذكرناها من مباينة الكفار ومعاداتهم، وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم لأبيه(لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) فإنه لا أسوة لكم فيه في ذلك، لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبين له أنه عدوّ الله؛ فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه. فكذلك أنتم أيها المؤمنون بالله، فتبرّءوا من أعداء الله من المشركين به، ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبرّءوا عن عبادة ما سواه وأظهروا لهم العداوة والبغضاء" (الطبري، ج٢٣، ص٣١٨.)، كما يكون واضحاً، البراء يعني المباينة والترك. وليس فيه معنى الحرب أو العداوة أو البغضاء. بل قد فهم من القرآئن التي تكون موجودة في هذه الآية (وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ) ،يعني بعد دعوة إبراهيم لأبيه وقومه، فهم أظهروا لإبراهيم العداوة والمخاصمة، ولم يبقوا لإبراهيم- عليه السلام- إلا معاملتهم بالمثل.

٣. المنهج الرباني في تطبيق عقيدة الولاء والبراء

وتتميماً للفائدة في تعزيز الدلالة اللغوية كان لابد من بيان المنهج الرباني – المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية- والذي يبين التطبيق العملي لعقيدة الولاء والبراء خاصةً مع غير المسلمين

وصور الإحسان إليهم، والبر بهم، وعدم إيذائهم، وحمايتهم، وجدالهم بالتي هي أحسن، كما ورد في النصوص التالية:

- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].
- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].
- ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].
- ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].
- ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي وردت بهذا المعنى.

ومن الأحاديث النبوية الصحيحة التي تؤكد هذا المعنى: حديث صفوان بن سليم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال: "ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة"، وفي رواية: "من آذى ذمياً فأنا خصمه" رواه أبوداود (أبو داود ،ج٣ ص١٧، حديث رقم ٣٠٥٢). وصححه الألباني (الألباني، ج٢، ص٥٩٠ ،١٤٠٩-١٩٨٩).

وحديث عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– موقوفاً (وهو جزء من وصيتة قبل وفاته) قال: "... أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتَل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم " رواه البخاري (البخاري، ج٤، ص ٦٩، رقم الحديث: ٣٠٥٢) ، والعجيب أن يقول عمر ذلك وهو على فراش الموت بعد أن طعنه واحد من أهل الذمة!!

وورد بهذا المعنى أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة (القاسم بن سلام، ج ٥، ص٤٧ ، ١٤٠٦-١٩٨٦ ، و ابن قيم الجوزية ، ج ١، ص١٣٧-١٤٥ ، ١٤١٨-١٩٩٧.)، تدل على الرفق بهم وعدم إيذائهم أو تعذيبهم حتى وإن امتنعوا عن أداء الواجبات المالية المفروضة عليهم، ولم يجز الفقهاء في هذه الحالة أكثر من أن يحبسوا تأديباً لهم، بدون أن يصحب الحبس أي تعذيب أو أشغال شاقة (أبو يوسف، ص١٢٤ و٢٢٧. و النووي ، ج ١٩، ص٤٠٦) ، علماً أن الإسلام تشدد كل التشدد مع المسلمين إذا منعوا الزكاة (يوسف القرضاوي، ص ١٣- ١٤، ١٤١٥/١٩٩٤).

قال ابن القيم: وإنما يراد بهذا كله الرفق بأهل الذمة، وألا يباع عليهم من متاعهم شيء ولكن يؤخذ مما سهُل عليهم بالقيمة (ابن قيم الجوزية، ج ١، ص١٤٣). ويقول القاضي أبو يوسف – صاحب أبي حنيفة– المتوفى سنة ٨٢هـ، مخاطباً الخليفة هارون الرشيد: "وينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله أن تتقدم بالرفق بأهل الذمة والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق عليهم" (أبو يوسف ص ١٢٤، و الشافعي، ج ٤، ص١١٨، ١٤٠٣-١٩٨٣).

فهذه جملة من الآيات والأحاديث الصحيحة والأقوال التي تأمر المسلمين بالتسامح والعدل والمساواة والعلاقة الحسنة مع غير المسلمين وإعطائهم كامل حقوقهم، والأدلة الواردة في ذلك كثيرة تستوعب دراسة كاملة، علماً أننا لم نجد دليلاً قطعياً وصريحاً واحداً ينهى عن موالاة هؤلاء المحافظين على عهودهم وواجباتهم كالنهي عن موالاة أولئك الكفار المحاربين، فلا يوجد في الأدلة التي ذكرناها والتي ستأتي قريباً أي دليل يشير بشكل صريح إلى تساوي جميع الكفار على اختلاف صفاتهم في موضوع موالاتهم بل إن النصوص كما هو واضح تدل على خلاف ذلك.

د. النتيجة

وفي الختام نشير إلى أهمّ ما توصل إليها الباحثان من النتائج في هذه الدراسة:

لمادة (ولى) من جهة اللغة أصلان؛ الأصل الأول: يدلّ على القرابة، والقريب يجلب لك المنفعة، ويدفع عنك المضرّة، سواء كانت بمعنى المعتق، أو العبد، أو ابن العم، أو القبيلة، أو الحاكم أو معنى آخر، والولاء يعني القرابة التي تجلب لصاحبها المنفعة، وتدفع عنه المضرّة، وليس فيه معنى النصرة أو الحب، إلا إذا جاءت القرائن الدالة على هذا المعاني، والأصل الثاني: البعد، والصّرف، والإعراض، قال تعالى:﴿... ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧] ، وقال تعالى: ﴿...وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿.. مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢].

للولاء وجوه ونظائر في القرآن الكريم دارت معانيه ودلالاته على سنن العرب في كلامهم، ولكن كان الاستعمال القرآني معجزاً في استخدام هذا اللفظ بالصيغة المناسبة في السياق المناسب، وأما

البراء فهو معنى أحادي تنوعت صيغ استعمالاته في القرآن الكريم للدلالات إعجازية ومعاني ثانوية.

والبراء في اللغة يكون بمعنى الخَلْق، والتباعُد والتقصي مِن الشيء ومُزايَلَتُه، وفي القرآن الكريم أيضاً (برئ) قد تدلّ على أحد هذه المعاني ولاغير، وليس في البراء معنى العداوة والبغضاء أو الحرب أو معنى آخر، الإ ما فهم من القرائن التي دل عليها.

الصلة الوثيقة بين القرآن الكريم واللغة المختارة له، فالقرآن الكريم نزل بلسان العرب وأساليبهم، وبالتالي لايمكن فهم القرن بمعزلٍ عن اللغة العربية لبلوغ الدلالة والوصول لمقتضى الحال، وهذا هو الوجه الإعجازي في الأسلوب القرآني على مستوى مفرداته وتراكيبه.

هناك فريق من المسلمين فهم من عقيدة الولاء والبراء- نتيجة عدم التدقيق والجمع بين المعنى اللغوي والسياق القرآني- التعصب في مواجهة غير المسلمين جميعاً وتصنيفهم في سلة واحدة، بل وكّفروا كل من لم يوافقهم على هذا الفهم، فكفروا معظم المسلمين لأنهم لا يسيرون وفق عقيدة الولاء والبراء حسب فهمهم،ثم ربطوا هذه العقيدة بفريضة الجهاد في سبيل الله، والتعامل مع هؤلاء الكفار وفق هذه القاعدة في انحراف آخر عن مقاصد الشريعة الإسلامية وروحها، فاستباحوا دماء المعاهدين وأصحاب الأمان وأهل الذمة من غير المسلمين والمحايدين، واستباحوا أيضاً دماء المسلمين الذين لم يوافقوهم على فهمهم هذا، واستخدموا مختلف أنواع العنف وأساليبه، وتسببوا في ضعف الأمة وفرقتها فوق ما تعانيه أصلاً من ضعف وفرقة وتخلف، وأضاعوا جهود المسلمين وأموالهم وطاقاتهم في غير فائدة، بل في الضرر والشرور والمفاسد، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

References

Holy Qur'an.

'Abdul Raḥmān bin Abī Bakar, Jalālodīn al-Suyūṭī. (1998). *Al-Muzhar fī 'Ulūm al-Lugah wa Anwā'uhā.* (1st Ed). Lebanon, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Abi 'Alī Mohammad bin al-Mustanīr, Ghotrob. (1984). *Kitāb al-Azdād.* (1st Ed)." Saudī Ārabīā kingdom, al-Riyāḍ: Dār al-'Ulūm.

Abū al-Layth al-Samarqandī. (no date). *Tafsīr al-Samarqandī (Baḥr al-'Ulūm).* Lebanon, Beirut: Dārul Fikr.

Abu Dawud Sulaimān bin al-Ash'as al-Sijistāni. (no date). *Al-Sunan*. Lebanon, Beirut: Dārul Fikr.

Abū Hayyān Al Ghernātī al-Andalusī. (2001). *Tāfsīr Baḥr al-Muḥīt.* (1st Ed). Lebanon, Beirut: Dārul Kutub il-Ilmiyyah.

Abū Hilāl al-'Askarī. (2007). *Al-Wujūh wa al-Naẓā'ir* (1st Ed)." Egypt: Cairo, Maktabah al-Thaqāfah al-Dīnīyyah.

Abū 'Ubaid al Qasim bin Salām. (1986). *Kitāb al-Amwāl*. (1 st Ed)." Lebanon, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Abū Yūsuf, Yaʿqūb bin Ibrāhīm. (1981). *Kitābul Kharāj*. (1 st Ed)." Egypt, Qairo: Dāru al-Iʿtiṣām.

Adh-Dhubaydī, Abul-Feydh Mohammad ibn Mohammad ibn Abdul Razaq Alhusseinī. (2001). *Tāj-ul Arūs Min Jawāhir al-Qāmūs* (1st Ed)." Kuwait: National Council for Culture, Arts & Letters.

Al-Azharī. (2001). *Tahzīb al-Lughah*. (1st Ed)." Lebanon, Beirut: Dār Ihyā Al-Turāth Al-Ārābiāh.

Al-Ālūsī, Abū al-Thanā' Shihāb ad-Dīn Sayyid Maḥmūd ibn 'Abd Allāh al-Ḥusaynī al-Ālūsī al-Baghdādī. (1994). *Rūh al-Ma'ani fī Tafsīr al-Qurān al-'Azīm wa al-Sab al-Mathānī.* (1th Ed)." Lebanon, Beirut: Dār Ihyā Al-Turāth Al-Ārābiāh.

Al-Bukhārī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Ismā'īl ibn Ibrāhīm ibn al-Mughīrah ibn Bardizbah al-Ju'fī al-Bukhārī. (2001). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. (1th Ed)." Lebanon, Beirut: Dār Tauq Al-Najah.

Al-Joharī, Abūl-Nasr Ismaīl ibn Hamād. (2002). *Al-Ṣahāh* (1st Ed)." Lebanon, Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Khāzīn. (1979). *Tafsīr Al-Khāzīn*. Lebanon, Beirut: Dārul Fikr.

Al rāghīb al Isfahānī, Abul-Qasīm al-Hussein bin Mufaddal bin Muhammad. (no date). *Al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān.*" Syria: Damascus, Dār al-Qalam.

Al-Zamakhsharī, Abūl -Qasim Mahmūd ibn Umar al-Zamakhsharī. (1987). *Al-Kashshaaf*. (3 th Ed). Lebanon, Beirut: Dār al Kitāb Al-'Arabi.

Al-Zamakhsharī, Abūl -Qasim Mahmūd ibn Umar al-Zamakhsharī. (1985). *Asas al-Balāghah*. (3 th Ed)." Egipt: Egyptian General Book.

Al-Zamakhsharī, Abūl -Qasim Mahmūd ibn Umar al-Zamakhsharī. (1994). *Al-Fāiq Fī Gharīb al-Ḥadīth*." Lebanon, Beirut: Dārul Fikr.

Al-Ṭabarī, Muhammad ibn Jarīr. (1987). *Tārīkh Al-Umam wal Mulūk* (1st Ed)." Lebanon, Beirut: Dārul Kutub il-Ilmiyyah.

Al-Farāhīdī, Abī 'Abdurrahman. (2003). *Al-Aein*. (1th Ed)." Lebanon, Beirut: Dārul Kutub il-Ilmiyyah.

Al-Firūzābādi, Mohammad ibn Ya'qūb. (1980). *Al-Qāmūs Al-Muḥit.* Egypt: General Egyptian Book Organization. Copy of the 3rd Edition of the Royal Press, 1884.

Al-Fayūmī, Ahmad bin Mohammad bin Ālī Almughrī. (1992). *Al Misbāh al-Munīr fī Gharīb al Sharh Al Kabīr li al-Rāfāei.* (5th Ed)." Egypt: Cairo, al mat bāah Al amīrīyah.

Al-Qaraawi, Sulaiman bin Salih. (1990). *Al-Wujūh wa al-Naẓāir fī al-Qur'ān.* (1 th Ed)." Saudī Ārabīā Kingdom. Al-Riyād: Maktabah al-Rushd.

Al-Qurtubī, Muhammad bin Ahmad bin abī bakar. (1964). "Al-Jāmi' li Aḥkām al-Qur'ān. (2 th Ed)." Egypt: CAIRO, Dār alkutub Al mesrīah.

Ibn al-Athīr al-Jazari, Abu al-Hassan Ali ibn Muhammad ibn Muhammad. (no date). *Al-Nihāyah fī Gharīb al-Aḥādīth*. Lebanon, Beirut: Dār Ihyā Al-Turath Al-Araby.

Ibn al-Jawzī, Jamāl al-Dīn. (1984). *Nuzha al 'Uyūn al Nawāẓīr* (1st Ed)." Lebanon, Beirut: Muasisah al risālah.

Al-Jawziyah, Ibn al-Qayīm. (1997). *Aḥkām Ahl Dhimmah*. (1 st Ed)." Saudi Arabyah: Damam: Ramādī lil Nashr.

Ibn Sīdah, Abū al-Hasan `Alī ibn Ismā`īl al-Musrī al-Andalusi al-Lugawī. (1997). *Al-Mukhaṣṣaṣ* (1st Ed)." Lebanon, Beirut: Dār Ihyā Al-Turath Al-Araby.

Ibn 'Ashūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1984). *Al-Taḥrīr wa Al Tanwīr.* Tunis: Al-Dar al-Tunisiyah.

Ibn Fāris al-Qazwīnī, Abu Al-Husein. (1979). *Mu'jam Maqāyīs al-Lughah*. Lebanon, Beirut: Dārul Fikr.

Ibn Manẓūr, Muhammad ibn Mukarram ibn `Alī ibn Ahmad ibn Manzūr al-Ansārī al-Ifrīqī al-Misrī al-Khazrajī Jamāl al-Dīn Abū al-Fadl. (no date). *Lisān al-'Arab*. Lebanon, Beirut: Dār Ihsān.

Tirmidhī, Abū 'Īsá Muḥammad ibn 'Īsá as-Sulamī aI-Ḍarīr al-Būghī al-Tirmidhī. (1977). *Jāmi` al-Tirmidhī*. (2 th Ed)." Egipt: cairo, Mustafa al-Babi al-Halabi Company.

Muhammad bin 'Idrīs Al Shafi'ī. (1983). *Kitāb al-Umm.* (2 nd Ed)." Lebanon, Beirut: Dārul Fikr.

Mughātil bin Sulaimān. (2003). *Tafsīr Muqātil bin Sulaimān*." Lebanon, Beirut: Dārul Kutub il-Ilmiyyah.

Qardawī, yūsuf. (1994). *Gair al-Muslimīn fī al-Mujtama' al-Islāmī.* (6 th Ed)." Lebanon, Beirut: Muasisah al risālah.

Nāsiruddin Al-Albani. (1989). *Ṣaḥīḥ Sunan Abī Dāwūd*. (1 st Ed)." Saʿudī Arabiah, Riyad: Maktab al-Tarbiyah al-Arabiah.

Yahyā bin Sharaf Al-Nawawī. (no date). *Al-Majmūʿ Sharḥ Al-Muhadhdhab.*, (1 st Ed)." Lebanon, Beirut: Dārul Fikr.